



المؤسسات التعليمية الأولى بسوس وخصائص المدارس العتيقة بالمنطقة

محمد المنوني

كلية الآداب والعلوم الانسانية
الربـــاط

كان إقليم سوس بين المناطق المغربية التي بكر فيها المسجد : مسجد ماسة الذي حضر بنيانه عقبة بن نافع[1]، وتعتبر هذه المبادرة هي الإشارة الأولى للحركة التثقيفية بسوس الإسلامية، اعتبارا بأن المسجد كان مكانا للعبادة، ومركزا لتفقيه المؤمنين.

وتأتي الإشارة الثانية من ابن حوقل[2] : (أواسط ق 4/ «10»)، فيذكر المالكية أهل السنة بسوس، وقتالهم مع الشيعة الرافضة، ولهم مسجد جامع تصلي فيه الفرقتان.

وفي أواسط المائة الهجرية الخامسة يسجل البكري[3] عن رباط ماسة انه مكان مقصود، له موسم عظيم، ومجمع جليل، وهو مأوى الصالحين.

وإلى هذا تحتفظ بعض المصادر بأسماء عاشت ــ بالمنطقة ــ في الفترة ذاتها،

---

(1) يقول ابن عذاري : اخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح : انه لم يصح عنده ان عقبة ــ رضي الله عنه ــ حضر بنيان شيء من مساجد المغرب، الا مسجد القيروان، ومسجدا بدرعة، ومسجدا بالسوس الأقصى، «البيان المغرب» دار الثقافة ــ بيروت ــ : 27/1

(2) صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت : ص 90

(3) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» : مكتبة المثنى ببغداد : ص 161، وانظر عن تحديد موقع رباط ماسة ووضعه الحالي : «خلال جزولة 209/2، 229 ــ 230.

فيبرز مؤلف رسالة «دلائل القبلة» أفرادا من تلاميذ ابن أبي زيد كانوا رحلوا إلى القيروان وأخذوا عنه :

1 ــ فمن لمطة : واكاك بن زلوي.

2 ــ ومن جذميوة : أبو تاليلت الصودي.

3 ــ وابن عبد الله.

4 ــ ويرزيكن بن علي الصودي[4].

وفي المدارك[5] يذكر عياض أربعة تراجم نورد منها بتعبيره :

5 ــ أيوب بن محمد : ذكر أنه كان من أهل العلم والرحلة فيه إلى بلاد المشرق، ولقي أبا عمران وغيره من شيوخ القرويين، وكان فقيه المصامدة[6] في وقته.

6 ــ أبو القاسم بن عُذري الفقيه : أخو سليمان ابن عذري الجزولي، كان من أصحاب واكاك بن زلوي اللمطي الفقيه، وأخوه سليمان القائم بأمر المرابطين بعد عبد الله بن ياسين، وكانت وفاة سليمان سنة إثنتين وخمسين وأربعمائة.

7 ــ توبارت بن تيدي[7] : من الفقهاء الفضلاء من المصامدة، من هذه الطبقة.

وبالإضافة إلى هؤلاء نحيل على مخطوط مجهول المؤلف ويحمل اسم «مسائل من كتاب الدلائل لأبي عمران الفاسي وغيره»[8] : خ. س 9057، فترد به الإشارات التالية :

(4) انظر محمد المنوني : «ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس» : مجلة «المناهل» 234/6.

(5) 79/8 ــ 80، مع الرجوع إلى مخطوط خ.ع.د. 2633 ص 199 ــ 200.

(6) يحدد عبد الواحد المراكشي بلاد المصامدة في عصره، فيذكر انها تمتد ــ عرضا ــ من نهر ام الربيع إلى الصحراء، وتبتدىء ــ طولا ــ من جبل درن إلى المحيط : «المعجب» مطبعة السعادة بمصر ص 226.

(7) في تعليق للأستاذ أحمد التوفيق على «التشوف» رقم 297 ص 164 : وردت هذه الفقرة : «وهناك ولي يدعى بأبا علي أوتُونارت تنتمي إليه قبيلة بإيدا أو محمود بالأطلس الكبير الغربي»، فهل هذا نفس الإسم الذي نعلق عليه، بعد أن تعرض للتحريف في منتسخات «المدارك»، ويكون أصل الاسم : تونارت بالنون، بن بيدي بالباء المفتوحة.

(8) أشار الهلالي لأصل هذا المصدر فيما له من الشرح على المختصر الخليلي المطبعة الحجرية الفاسية =

قال الفاسي في كتاب الدلائل عن فقهاء جزولة ومصامدة : الورقة 2/أ.

قال الفاسي في كتاب الدلائل : من كتاب إجماع فقهاء جزولة : الورقة 2 / أ.

في كتاب الدلائل للفاسي : قال في كتاب أحمد بن سعيد : في كتاب اجماع فقهاء المصامدة : الورقة 2/ ب.

ومن كتاب الدلائل للفاسي : في كتاب طلبة جزولة : الورقة 2 / ب.

1 ـ رباط أكلو.

على أن الحركة التعليمية بسوس بدأت تنتظم نحو بداية القرن الهجري الخامس، بمبادرة واكاك بن زلوي اللمطي.

وكان من طلبة ابن أبي زيد القيرواني وأبي عمران الفاسي، حتى إذا عاد من القيروان لسوس أسس «رباط أكلو» شمال مدينة تزنيت على الشاطىء، نحو أوائل القرن 5 /«11».

ولا نتوفر ـ الآن ـ على أية إشارة لشكل بنايته الأولى التي اندثرت بالمرة[9]، غير أن المنهجية التعليمية للرباط ترد بعض ملامحها في تعبيرات قصيرة ومقتضبة، فيقول عنه عياض[10] وهو يترجم لعبد الله بن ياسين : «كان ـ أولا ـ من طلبة واكاك بن زلوي اللمطي في داره التي بناها بالسوس للعلم والخير».

ومن ترجمة ابن الزيات[11] لواكاك : «فبنى دارا سماها» بدار المرابطين «لطلبة العلم وقراء القرآن».

= 1292 هـ : ص 126 ـ 127، وأكد ـ نقلا عن الزقاق ـ ان كتاب «الدلائل والأضداد» موضوع، غير صحيح النسبة لأبي عمران الفاسي، ولهذا يتحفظ في المعلومات الواردة بهذا المصدر، ولا يوخذ بها إلا بعد نقدها وعرضها على النصوص، ودون هذا لا يعتمد ألبتة ـ كتاب «الدلائل والأضداد» ولا مختصره الذي نعلق عليه

(9) وصف محمد المختار السوسي الوضع الحالي لرباط أكلو وما حواليه : «خلال جزولة» 76/1 ـ 78، وقد سعدت بزيارة مكان الرباط في لمة من أهل العلم والفضل، من عصر إلى غروب يوم الاثنين 14 جمادى الأخيرة 1406/ 24 فبراير 86 فدخلنا مشهد مؤسس الرباط، وصلينا العصر في مسجده وزرنا الكتاب ومساكن الطلبة في مدرستهم، وكان ذلك بدعوة من حفيد صاحب الرباط الأستاذ العميد السيد الحسين واكاك.

(10) «المدارك» 8 / 81

(11) التشوف «مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 89.

على أن الذي عرف ـــ أكثر ـــ برباط اكلو ومؤسسه هو أبو عمران الفاسي، فيقول وهو يخاطب الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي :

«اني اعرف ببلاد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقاً تقياً ورعاً، لقيني هنا (القيروان)، وأخذ عني علماً كثيرا وعرفت ذلك منه، واسمه واكاك بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط هنالك، وله تلاميذ جمة يقرءون عليه العلم»[12].

فنفيد من هذه الفقرة المستوى العلمي الرفيع لوكاك، وشهرة رباط أكلو حتى تعدت المغرب إلى القيروان، ووفرة الطلبة به، كما نستفيد من أبي عمران ومعه عياض وابن الزيات : ان الرباط كان دارا للقرءان ونشر العلم، ومركزا للدعوة الإسلامية التي تفسر كلمة الخير في التعريف بالرباط.

اما اسماء طلبة الرباط فلا يعرف منهم ـــ الآن ـــ سوى اسمين : أبي القاسم بن عُذري سابق الذكر. عن المدارك، ثم عبد الله بن ياسين التامانارتي الجزولي، فيفتتح عياض[13] ترجمته قائلا : «ذو الأنباء العظيمة والقصص الغريبة، القائم بدعوة المرابطين، المزين لدولتهم لأول خروجهم».
ويقول البكري[14] عن استشهاده : «وقتل ببرغواطة سنة إحدى وخمسين (وأربعمائة) بموضع يُسَمَّى كريفلت، وعلى قبره ـــ اليوم ـــ مشهد مقصود، ورابطة معمورة».

ومن المعروف أن عبد الله بن ياسين هو مخطط السياسة الإسلامية للمرابطين، بعدما تعلمها من دراسته في مدرسة أكلو، مما يوضح منهاج هذه المؤسسة في الدعوة الإسلامية، وللمزيد من التوضيح نذيل بفقرة لأبي بكر بن العربي المعافري[15] عن سياسة المرابطين الإسلامية : «المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين، وهم حماة المسلمين الذابون عنهم، والمجاهدون دونهم».

---

(12) «روض القرطاس» دار المنصور بالرباط ص 123

(13) «المدارك» 81/8.

(14) «المغرب....» ص 168.

(15) «الحلل الموشية» دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء : ص 140.

وعن مدى استمرار مهمة دار المرابطين يرجع إلى سوس العالمة[16] و «خلال جزولة»[17]

2 ــ رباط هرغة بإيجلي.

وهو المؤسسة الثانية المعروفة بعد دار المرابطين، وكان من بناء المهدي بن تومرت عام 515 / «21 ــ 1122»، حسب ابن خلدون[18] الذي يسميه رابطة، وقد اتخذه مؤسسه مكانا للتعليم، ومركزا لنشر الدعوة الموحدية، وعند ابن القطان[19] : «واقام الامام بجبل ايجيليز (الصواب إيجلي) ثلاثة أعوام يدرس العلم، ويهاجر إليه السعداء، ويعلم المهاجرين، ويخاطب القبائل».

وعبارة ابن خلدون[20] : «واجتمعت إليه الطلبة والقبائل، فعلمهم المرشدة، والتوحيد باللسان البربري».

ومن الجدير بالملاحظة انه بهذا الرباط كان تحديث ابن تومرت لعبد المومن بكتابه «محاذي الموطا»، فيوجد بأول بعض نسخه سند يتسلسل من يوسف الأول، عن والده عبد المومن، عن ابن تومرت، وهنا يحدِّد الزمان والمكان هكذا : «في غرة شهر رمضان المعظم، من سنة خمس عشرة وخمسمائة، ببلد السوس برباط هرغة، حسب نص السند أول نسختين : مخطوطة القرويين رقم 1449، ومخطوطة خ.ع.ج. 840.

وإلى هذا الرباط كان بقربه «الغار» متعبد ابن تومرت، مع مسجده، وقد صار الأثران موضوع تقدير عند الموحدين، فيشد الرحلة إليهما عبد المومن أول يوم من رمضان 552/ «1157» ويزورهما في موكب حافل[21].

وفي منتصف القرن 8 هـ / «14» مَرَّ لسان الدين ابن الخطيب بهذه الجهة،

---

(16) ص 155.

(17) 78/1

(18) «العبر» دار الكتاب اللبناني : 469/6، غير أنه تصحف به ايجلي بايكيلين

(19) «نظم الجمان» المطبعة المهدية بتطوان ص 23.

(20) «العبر» 469/6.

(21) «مجموع رسائل موحدية» المطبعة الاقتصادية بالرباط ص 86، وتصحف هنا ايجلي إلى ايجيليز.

فكان مما وقف عليه مسجد ابن تومرت، ومدرسته التي يقصد بها رباط هرغة، غير انه يشير إلى ان الذي بقي من المدرسة هو اثرها[22].

ويلحق بهذا الرباط في الحرمة الموحدية مدفن ابن تومرت في تينمل، فيزوره — في جمع حافل — عبد المومن[23]، ثم ابنه يوسف الأول[24]، وفي أواخر القرن 8 / «14» يقول ابن خلدون[25] عن هذا المشهد : «وقبر الامام بينهم (اهل تينمل) لهذا العهد على حاله من التجلة والتعظيم، وقراءة القرءان عليه أحزاباً بالغدو والعشي، وتعاهده بالزيارة، وقيام الحجاب دون الزائرين من الغرباء لتسهيل الاذن، واستشعار الابهة، وتقديم الصدقات بين أيدي زيارته، على الرسم المعروف في احتفال الدولة».

وكان يتمتع بنفس الاحترام مسجد ابن تومرت بتينمل، فيأتي ذكره كمعهد دراسي خلال العشرة الثالثة من القرن 12 / «18» حيث يزوره مؤلف «رحلة الوافد»، ثم يسجل ارتساماته عنه عام 1125 / «1713»، وبعدما يذكر ابن تومرت يعقب بهذه الفقرة :

«... ومن رءا شغل بنيان مسجده العتيق الذي بتينمال، واسفارُ خزانته الموضوعة فيه لتدريس العلوم وسرد الحديث : تنبيك عن خبر ما قلنا...»[26]

3 — في جبل الكست بجزولة.

وهنا ينتهي حديث رباط هرغة وملحقاته، ونعقب بإشارة من الامام الرجراجي : علي بن سعيد، مؤلف «مناهج التحصيل» الذي علق به على كتاب تهذيب المدونة للبراذعي، فيذكر في طالعته انه ابتدا تصنيفه — بجبل الكست من جبال جزولة — عاشر ذي الحجة عام 633/ «1236».[27]

---

(22) «نفاضة الجراب» : السفر الثاني، دار الكاتب العربي بالقاهرة ص 49 — 50.

(23) «مجموع رسائل موحدية» ص 92.

(24) «تاريخ المن بالامامة» دار الأندلس بيروت ص 215 — 217

(25) العبر 562/6.

(26) «رحلة الوافد» مخطوطة خ.س ص 14.

(27) «مناهج التحصيل» من مخطوطات خزانة القرويين رقم 381، حسب «فهرستها» 373/1— 375، وانظر «المعسول» 305/5 — 308.

4 ـــ في نول لمطة.

ومن هذا التاريخ ننتقل إلى عام 663 / «64 ـــ 1265» عند «نول لمطة[28]»، حيث كان الشيخ أبو سليمان داود بن علي الحيحائي يشتغل بالتعليم، فيضطلع بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة، وهما مادتان درسهما بين يديه تلميذه عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجدميوي الصودي الطديثي السمكاني نزيل الاسكندرية من بعد، فيأخذ عنه كثيرا من الحساب، وكتاب «الكافي» في الفرائض لابن عبد البر خمس مرات، ويتقن عليه المادتين وهو ابن عشرين سنة أو أقل منها.

وقد كانت إفادات أستاذه بين المصادر التي استمد منها في تأليف كتابه في الفرائض : «نهاية الرائض في خلاصة الفرائض»[29] : ثم اختصره في مؤلفيه :

«كفاية المرتاض في تعاليل الفراض».

و «مفتاح الغوامض، في أصول الفرائض».

والمؤلفات الثلاثة يضمها مجموع مخطوط في «دار الكتب الناصرية» بتمكروت رقم 1647.

وثلاثتها من النوادر، وكانت لا تعرف إلا عن طريق أبي القاسم التجيبي[30]، فيذكر قراءته لها على مؤلفها في هذه الفقرة :

«كتاب نهاية الرائض في خلاصة الفرائض، من تأليف الشيخ الفقيه الفرضي الحسابي، العابد الزاهد الصوام القوام، جمال الدين، أبي محمد عبد الله بن أبي بكر ابن يحيى بن عبد السلام، المغربي ثم الجدميوي الصودي نزيل الاسكندرية..

قرأت جميعه عليه بالمسجد المنسوب لأبي الدرداء رضي الله عنه، داخل باب السدرة من ثغر الاسكندرية، وصح ذلك وثبت في عدة مجالس، آخرها في ليلة يسفر صباحها عن يوم السبت، التاسع لشهر ربيع الثاني، من سنة ست وتسعين

(28) وادي نون

(29) في خاتمة هذا الكتاب تحدث المؤلف عن دراسته بنول لمطة على أستاذه الحيحائي وقد تصحف هذا بالبجائي في «نيل الابتهاج» المنشور بالقاهرة على هامش الديباج ص 141.

(30) «برنامج التجيبي» الدار العربية للكتاب : ص 274 ـــ 275.

وستمائة، ثم قرأت عليه جميعه بعد ذلك، وهو كتاب جليل مفيد في بابه، شكره أهل المعرفة بهذا الشأن..

كتاب كفاية المرتاض، في تعاليل الفراض، وجزء فيه مفتاح الغوامض في أصول الفرائض، كلاهما من تصنيف جمال الدين المذكور.

سمعت الكفاية عليه، ثم قرأتها أيضا، وقرأت المفتاح عودا بعد بدء عليه أيضا».

وعند هذه الفقرة من أبي القاسم التجيبي، يكون هذا العرض قدم أربع مراكز تعليمية، وهي تمثل المعروف عن البدايات الأولى للمدارس العتيقة بسوس، بدءا بدار المرابطين، وانتهاء عند مركز نول لمطة أواسط القرن الهجري السابع، وبعد ذلك يتتابع تأسيس هذه المدارس ببطء، لتتكاثر مع القرن التاسع وبعده حتى بدايات المائة الهجرية الرابع عشرة، أو نهاية القرن العشرين، فتتناثر طول هذه الفترة على امتداد منطقة سوس، لتتدارس المواد التعليمية التي تنتشر بالمغرب، وهو موضوع طفحت بتفاصيله مؤلفات مؤرخ سوس المرحوم محمد المختار السوسي، وخصوصا : «سوس العالمة» و«المعسول»، و«خلال جزولة».

ووكدنا — الآن — هو الالماح لبعض خصائص المدارس العتيقة بسوس،

فيلاحظ أبو القاسم التجيبي[31] عن الجزوليين اعتناءهم بمادة الفرائض وتحصيلها وما يتعلق بها، وهي ظاهرة يؤكد استمرارها محمد المختار السوسي[32]، فيقول عن هذه المادة : «وانما افردناها لأننا نرى للسوسيين نحوها التفاتاً خاصاً... ولكون السوسيين يولعون به كثيرا، كان بعض الحذاق الحضريين يسميه علم السوسيين»

وعن أخلاق رجال التعليم بالمنطقة نقتبس فقرة من الرصاع[33]، وهو يترجم لشيخه يعقوب المصمودي نزيل تونس ثم الشام، حيث توفي بها حدود 850 هـ أو ما قاربها، فيذكر ارتسامات المترجم عن علماء المصامدة في هذه القولة أثناء كلام :

«اما انا فما أدركت المشائخ على هذه الحالة : من كثرة الكلام، واظهار الفصاحة، والزيادة على المقصد في الفهم، وقل ان يسلم الانسان مع الله في ذلك،

---

(31) نقل ذلك في نيل الابتهاج ص 141 : عن «رحلة أبي القاسم التجيبي»

(32) «سوس العالمة» ص 50.

(33) «فهرسة الرصاع» : المكتبة العتيقة بتونس ص 130، مع الرجوع إلى نسخة مخطوط

ولا أدركت مشايخي يستندون إلى حائط، بل يستقبلون القبلة في المسجد، وتجلس الطلبة معهم يميناً وشمالا، ويقتصرون على أقل موضع في المسجد...

وقد شاهدت شيوخنا من المصامدة أهل الورع والحفظ والفقه والتحفظ في أعمالهم، ويتادبون بئاداب العلم، ولا يرفعون أصواتهم على أصحابهم فضلا عن شيوخهم، ولا يراجعون الشيخ إلا تفهما لا اعتراضاً عليه».

ويصف الرصاع[34] طريقه شيخه في التدريس هكذا

والشيخ سيدي يعقوب يحل اللفظ بشرحه، ويتعبد الألفاظ عن شيوخه — بسكون وهدوء وورع — في العبارة وفي النقل، وإذا تشكك يقول : لا تنقلوا عني هذا».

وهذه الطريقة انتهجها أحد علماء سوس في القرن 10/«16» : مبارك بن علي بن إبراهيم الجزولي نزيل فاس، والمتوفى عام 982 / 1575، وهو أستاذ أحمد ابن القاضي، فيقول عنه في «المنتقى المقصور»[35] : قراءته لخليل يصور المسألة فقط، كعادة أهل مصر والمشرق، وحدثني شيخنا أبو رائد ان قراءة الزقاق وسيدي علي بن هارون كانت كذلك أيضا، فهي أنفع لطالب العلم».

وكانت للسوسيين منهجية متميزة في تعليم مادة «التصريف»، ونوه بها اليوسي[36] دون أن يعرف بها، فيقول عند ترجمة أستاذه عبد العزيز الرسموكي : «وحضرت عنده في تصريف الفعل، وله ولأهل بلده في ذلك طريقة نافعة».

وفي صدد تدريس الطب بالمنطقة يبرز إسم أبي العباس أحمد بن الإمام محمد بن أحمد الحضيكي، فيعدد أحد تلاميذه مقروءاته عليه ويذكر الفية ابن سينا مع شرحها لابن رشد، ثم يضيف : «وسمعت منه كثيرا من تذكرة الانطاكي في الطب، ومن «الزهراوي» يحدثني بكلامهما من حفظه، وكان مولعاً بذلك الفن»[37]

---

(34) المصدر ص 130

(35) مخطوط خ.س عند الباب 24 ص 297، وانظر — أيضا — «الدرر المرصعة» خ.ع.ك 265 : عند ترجمة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر.

(36) فهرسة اليوسي :مخطوطة خاصة.

(37) «المعسول» 23/6، وترجمة الحضيكي بنفس المصدر 325/11

ويبدو أن تذكرة الانطاكي وصلت ــ مبكرة ــ إلى سوس، فيسند إلى مؤلفها يحيى الجراري في فهرسه : «ضوء المصباح[38]» ويسوق سنده إلى الطب عن شيخه سيدي محمد الزريفي، عن سيدي بورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي الحسني، عن والده سيدي عبد الله المذكور، إلى أن ينتهي السند للشيخ داود الانطاكي.

ومن تقاليد الطلاب في مغرب الأمس تفانيهم في الاجتهاد لتحصيل العلم، وكان من حظ سوس في هذه الظاهرة ما يقصه سعيد الهوازلي عن أستاذه أبي القاسم ابن عمر التفنوتي ثم الدرعي، فيذكر التلميذ : «وكانت مساكن دراستنا قرب مسكنه ونحن نجد غاية الجد، فكان يقول لنا ما كنتم تصنعون شيئا، ما هكذا عرفتُ جزولة»[39]

وأبو القاسم التفنوتي كان يحض طلبته على الاحتراف بما يكون به معاشهم.[40]

وقد لمع بين علماء سوس أفراد كانت لهم يد صناع متميزة، ونتخير من نماذجهم ثلاثة :

أ ــ الجمال المغربي : عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله السوسي ثم المصري، تـ 803 / 1400، كان حسب ابن حجر ــ أعجوبة الدهر في صناعة الأشياء الدقيقة...

ب ــ الروداني : محمد بن محمد بن سليمان السوسي نزيل الحرمين الشريفين ت 1094 / 1683، ويقول عنه أبو سالم العياشي[42] : «وكانت له يد صناع يحسن غالب الحرف المهمة، سيما الرقيقة العمل، الرائقة الصنع، كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتسفير الكتب، والخرازة...

---

(38) مخطوط خ.س 4275، غير أن هذا السند لايخلو من مؤاخذة سيما في آخره

(39) «طبقات الحضيكي : المطبعة العربية بالدار البيضاء 151/1 ــ 152

(40) المصدر 1 / 151

(41) «الضوء اللامع» 5 / 57.

(42) «الرحلة العياشية» ط.ف : 38/2.

ج ـــ الادوزي : محمد بن العربي بن إبراهيم السملالي ت 1323 / 1906، وكان يحسن غالب الحرف المهمة، سيما التزويق، والتسفير للكتب، والنجارة، والبناء...[43]

ونتابع ـــ بعد هذا ـــ تقديم خصائص المدرسة العتيقة بسوس، فنشير إلى أن نفقات التعليم لم تكن قط ـــ من الدولة، ويتبناها الموسرون في زكوات وهبات متنوعة توارثوا تقديمها خلفا عن سلف، فتغطي نفقات الكتاتيب القرآنية ومعلميها، والمدارس العلمية وأساتذتها وتلاميذها : شرطا وسكنى وتموينا، ويتم ذلك وفقا لتقاليد عفوية شرحها محمد المختار السوسي في «سوس العالمة»[44]، ونشر نبذا منها في «خلال جزولة»[45].

وكان لهذه العادة نظائرها في كثير من أرياف المغرب حيث توجد المدارس العتيقة، ثم اندثر ذلك من سوس وسواها بعد تعميم التعليم العصري بالمغرب. ومن الجدير بالذكر أن مبدأ الإنفاق الشعبي على التعليم الإسلامي يعم جهات شرق آسيا، وبذلك استطاع هذا التعليم الاستمرار بجانب المدرسة العصرية ـــ في كل من الباكستان والهند والافغان وإيران وسواها.

أما لغة التدريس فكانت هي اللهجة الشلحية[46]، بينما استمرت العربية لغة التأليف، ولم يشذ عن ذلك سوى مؤلفات محدودة في أغراض تعليمية.

ونختتم هذا التدخل بالإشارة إلى ثلاث من المثقفات السوسيات حافظت المصادر على أسمائهن.

1 ـــ رحمة بنت الإمام محمد بن سعيد السوسي المرغيتي، تاريخ وفاتها غير مذكور وتوفي والدها عام 1089 / 1678.

وألف برسمها مختصرا فقهيا مبسطا[47]، فاستفيد من ذلك انها كانت على درجة من الثقافة.

---

(43) «المعسول» 175/5 ـــ 176 ـــ و 132.

(44) ص 154 ـــ 155.

(45) /172/3، 186 ـــ 20/4 ـــ 21

(46) يرجع هنا إلى خاتمة «المعسول» 280/20 ـــ 281.

(47) «الروض اليانع الفائح» للمعداني : مخطوط خ.س. 81 : 231/1.

2 ــ فاطمة بنت محمد الهلالية المتوفاة عام 1207 / 92 ــ 1793.

لها ترجمة في فهرس[48] تلميذها محمد بن عمر السوسي اليبوركي، فيصفها بالفقيه العالمة السالكة، ويذكر أخذها عن الشيخ أبي العباس بن ناصر وغيره.

3 ــ عائشة بنت الحاج مبارك الشلح بن أحمد بن الحسين التكي (المتوكي)، كانت بقيد الحياة عام 1245 / 1830.

ولا يعرف عن حياتها إلا أنها خطت ــ بيدها ــ مصحفا شريفا ومؤلفين :

أ ــ «مصحف شريف»، كتبتَ في آخره باللون الأحمر : «كمل القرآن العظيم، بقدرة الجليل الكريم، بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، على يد خديمة ربها، الضعيفة (كذا) عائشة بنت الحاج مبروك (كذا) الشلح التكَى، غفر الله لهما ولوالديهما (كذا) ولمن نظر في خطها، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات : الأحياء منهم والأموات اللهم اجعل آخر كلامنا : لا إلاه إلا الله محمد رسول الله» واثر هذا في الهامش بلون السوداء : «عام سبع وثلاثين ومائتين وألف»

خ.س 4225

ب ــ «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» : إسم الشرح الصغير لدلائل الخيرات للجزولي تأليف محمد المهدي الفاسي، وقد ذيلته بهذه الخاتمة :

«كمل الكتاب المبارك ــ بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ــ صبيحة يوم الجمعية، الثاني والعشرين يوما من شهر الله جمادى، عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف : 1237 الله يوفقنا للصواب، على يد أمة الله : عائشة بنت الحاج مبرك (كذا) بن أحمد الشلح التكي، البائس الفقير، الضعيف الحقير، المحتاج لرحمة الله ومفتاح البصير، (كذا) غفر الله لها ولوالديها ولشيوخها، ولمن نظر في خطها، وكل من قراه يدعو إليها ولجمع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، : الأحياء منهم والأموات، ورضي الله عن أصحاب النبي أئمة الهدى، ومصابيح الدنيا، وعن التابعين، والحمد لله رب العالمين، وهي حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم اجعل آخر كلامنا : لاإله إلا الله، محمد رسول الله».

---

(48) خ.س 12933

خ.س 4087

ج ـــ «مدارك التنزيل، وحقائق التأويل» : إسم تفسير القرآن الكريم لعبد الله النسفي في سفرين، وقالت آخر السفر الأول :

«قد انتهى الجزء الأول.. وكان الفراغ منه يوم الحد (كذا)، الثاني والعشرين من شهر الله ذي القعدة، عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، على أيد أمة الله : عائشة بنت مبرك (كذا) بن أحمد نجل الحسين الشيخ، التكي الغشي الحسنوي، غفر الله لها ولوالديها(49).

---

(49) من دراسة لمحمد المنوني بعنوان «الوراقة العلوية» القسم الثاني مجلة «دعوة الحق» العدد 246 ص 140 ـــ 141.

توضيحات :

المصادر والمراجع تذكر وضعيتها عند الاحالة الأولى : مطبوعة ومكان الطبع، أو مخطوطة ومكانها ورقمها، ولا يتكرر ذلك بالاحالات التالية وترد اختصارات كالتالي :

خ.ع.د. قسم حرف الدال من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.ج : قسم حرف الجيم من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط

خ.س : الخزانة الحسينة بالرباط

ط.ف : المطبعة الحجرية الفاسية.